

تداعيات الدور الروسي في الصراع السوري على مكانة روسيا العالمية The repercussions of Russia's role in the Syrian conflict on Russia's international position

فاطمة الزهراء مزماز¹

كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية جامعة الجزائر 3 الجزائر

fatimazahramezmaz@outlook.com

تاريخ النشر:
2023/12/31

تاريخ القبول:
2023/07/06

تاريخ الارسال:
2023/06/15

الملخص:

استندت هذه الدراسة على البحث في تداعيات الدور الروسي في الصراع السوري على استعادة روسيا لمكانتها العالمية، وذلك قصد إدراك العلاقة الكامنة بين التأثير الإقليمي من خلال إدارة الصراعات واستعادة المكانة العالمية، فلأول مرة بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، أكدت روسيا الاتحادية أنها قادرة على إدارة صراع دولي يقع في منطقة خارج حدودها الجغرافية القريبة، ويتموقع في مجال حيوي ومنطقة ارتكاز تتقاطع بها مصالح أهم القوى العالمية "سوريا"، وقد ارتكزت في ذلك على المزج المتجانس ما بين مختلف عناصر قوتها الصلبة والمرونة، على النحو الذي مكّنها من إدراج عديد من التغييرات في منحنى السياسة العالمية، امتد تأثيرها ليشمل مستقبل النظام العالمي ونمط التوازنات الجيوسراتيجية.

الكلمات المفتاحية:

الدور-الصراع الدولي -التأثير الإقليمي -روسيا -سوريا-المكانة العالمية.

¹ - المؤلف المرسل: فاطمة الزهراء مزماز

Abstract:

This study based on research into the repercussions of Russia's role in the Syrian conflict on restoration of its world position. For the first time and after the collapse of the Soviet Union, the Russian Federation confirmed that it is able to manage an international conflict located in outside of its geographical boundaries, which is located in a vital area, where the interests of the most important world powers intersect in "Syria". Russia based on the homogeneous combination of the various elements of its hard and soft power, which enabled it to include many changes in the regional political affairs and its influence extended to the future world order and the features of geostrategic balances.

Key words:

Role -International Conflict- Regional Influence- Russia - Syria- International Position.

مقدمة:

تيقنت الدول أن بقاءها و تجسيد أكبر قدر من مصالحها يتطلب منها تعظيم أدوارها وتنشيطها على المستويين الإقليمي والعالمي على السواء، وهو ما جعل معظم صانعي القرار في العالم يمنحونها الأولوية القصوى لتحقيق الأمن القومي لدولهم والحفاظ على مكانتها ونفوذها عالميا، وهو الشأن بالنسبة للرئيس الروسي فلاديمير بوتين، فبمجرد وصول هذا الأخير إلى السلطة ركز على تنشيط الدور الإقليمي لروسيا وذلك لإثبات مدى قدرتها على التأثير على المستوى العالمي، خاصة بعد الركود الذي شهده دورها في الفترة التي تلت الحرب الباردة، وذلك في عديد من القضايا ذات الصلة الوثيقة بمصالحها العليا المرتبطة بأمنها القومي، فالدولة العظمى التي تراجعت مكانتها ونفوذها في إدارة شؤون وقضايا السياسة الدولية، عادت من جديد إلى الواجهة من خلال دور جديد هام ومحوري، ومواقف حاسمة.

لقد أدى الدور الروسي في الصراع السوري الى اثاره جدل واسع في حقل العلوم السياسية والعلاقات الدولية، حيث اعتبره البعض مظهرا من مظاهر عودتها القوية إلى الساحة الدولية، ومنعطفًا بارزا لدورها وسياستها الخارجية، تمخض عنه عديد من التدايعات على مكانتها الاقليمية والعالمية، ونظرا لأهمية هذا الموضوع "تدايعات الدور الروسي في الصراع السوري على مكانة روسيا العالمية"، فقد تم اختياره ليكون محل الدراسة.

الأهمية العلمية للدراسة:

تتجلى الأهمية النظرية لهذه الدراسة في إرساء منظور جديد للعلاقات الدولية في المنطقة الأوراسية وتحديدًا في منطقة الشرق الأوسط، من خلال إيجاد

العلاقة التفاعلية ما بين ثلاث متغيرات رئيسية هي: الدور الإقليمي، الصراع الدولي، المكانة العالمية، والتي يتحكم فيها تحديد طبيعتها متغير ثابت ودائم هو المصلحة.

كما تندرج الأهمية العملية لهذه الدراسة في سياق تمكيننا من رصد التأثيرات التي ستمخض عن الدور الروسي في الصراع السوري، وكذا تداعيات الصراع في حد ذاته على مستقبل المنطقة العربية، وعلى تشكيلة التحالفات وكذا التوازنات الإقليمية و الدولية في المنطقة، كما ستسمح بإجراء تحليل معمق حول تداعيات تدخل القوى العظمى لإدارة الأزمات والصراعات في الدول التي شهدت ثورات الربيع العربي، وإبراز تداعيات تدويلها، خاصة بعد ربط مآلها بقضايا وملفات دولية شائكة على غرار حماية الأقليات (الأكراد)، الإرهاب الدولي، وكذا حماية اللاجئين.

الإشكالية:

تتمحور إشكالية دراستنا هذه حول إيجاد الصلة بين متغيرات الدور، التأثير والمكانة، وعليه فهي تتجلى فيما يلي:

هل ستمكن روسيا من خلال دورها المؤثر في مسار الصراع السوري من استعادة مكانتها العالمية؟ وما مدى تأثير هذا الدور الجديد على التوازنات الإقليمية والعالمية الراهنة والمستقبلية؟

ترتكز دراستنا هذه على الفرضية التالية:

الفرضية: يمكن أن يؤدي دور الدولة في الصراعات الإقليمية المحتمدة في أبرز مناطق الارتكاز العالمي إلى تحقيق تأثير مزدوج إقليمي-عالمي، فكلما تضاعف تأثيرها إقليميًّا، تنامت فرصة استحوادها على مكانة عالمية، ونجحت في المساهمة في فرض نظام متعدد الأقطاب.

الإطار النظري للدراسة:

يرتكز التحليل المعمق لهذه الدراسة على نظرية الدور، وذلك باعتبار أنه لكل دولة مركزية مجال حيوي تلعب فيه دورا بحكم تاريخها وجغرافيتها، وهي مقارنة تستند إلى مفهوم جديد للمجال الحيوي يرتبط بما يسمى بـ "الحدود الشفافة"¹، والتي تعني في مضمونها الهيمنة الاقتصادية والعسكرية دون حدود خرائطية للدولة، أو ما يسميه تايلور-أشهر باحثي الجغرافيا السياسية في العقدين الأخيرين-بـ "جغرافية السيطرة من دون إمبراطورية"، وهذا المفهوم يسمح بأن يصبح العالم كله مجالا حيويا لدولة واحدة ويمكن صانع القرار من بناء رؤية نافذة لإدراك الفرص الدولية.

كما تجدر الإشارة إلى أنه سيتم توظيف عدة مناهج في هذه الدراسة، على غرار المنهج التاريخي، وذلك قصد رصد التفاعلات الحاصلة عبر فترات زمنية مختلفة، وكذا المنهج الوصفي التحليلي والمقارن بغية التمكن من بناء المسار المستقبلي للدور الروسي في الصراع السوري ومآلاته.

تنقسم هذه الدراسة إلى ثلاثة مباحث رئيسية:

يتضمن المبحث الأول تشخيصا لطبيعة الدور الروسي في الصراع السوري، في حين سيتناول المبحث الثاني تحليلا معمقا للاستراتيجية الروسية في إدارة الصراع السوري وآليات استعادة النفوذ والمكانة العالمية، أما المبحث الثالث فقد تضمن تقييما شاملا للتداعيات الإقليمية والعالمية الراهنة للدور الروسي في الصراع السوري على المكانة العالمية لروسيا، والمستقبلية من خلال بلورة أهم السيناريوهات المحتملة.

¹-باسم الطوبسي، الحدود الشفافة وخداع الجغرافيا السياسية، الغد، الجمعة 07 أكتوبر 2005،

03:00، الرابط الإلكتروني: www.alghad.com.

المبحث الأول: تشخيص الدور الروسي في الصراع السوري ورصد طبيعته

يعتبر الصراع السوري صراعاً داخلياً مسلحاً ذو طابع دولي ينفرد بدرجة عالية من التعقيد، جراء تعدد الأطراف المتدخلة فيه، على غرار القوى الإقليمية والعظمى، على غرار روسيا التي تمتلك مقومات مكنتها من أداء دور إقليمي محوري.

المطلب الأول: مقومات الدور الروسي في الصراع السوري ومحدداته:

الفرع الأول: مقومات الدور الروسي في الصراع السوري:

● **المقومات الجغرافية (الموقع الجغرافي):** تعد الجغرافيا السياسية أكثر مقومات سياسة الدولة ثباتاً¹، وتلعب هذه الأخيرة دوراً بارزاً ومؤثراً في تحديد طبيعة التوجه الروسي الخارجي و رسم معالم سلوكيات الدول الأخرى اتجاهه، حيث تعد روسيا دولة شاسعة المساحة، فهي أكبر دولة في العالم من حيث المساحة، حيث تقدر هذه الأخيرة بـ 17075200 كلم²، وبعد ضمها لشبه جزيرة القرم عام 2014، بلغت مساحتها حوالي 17101281 كلم²، فهي تمتد عبر شمال آسيا و شرق أوروبا، وتشترك من خلال حدودها مع 16 دولة، حيث يحدها من الشرق ثلاث بحار متفرعة عن المحيط الهادئ وهي بحر بيرنغ وبحر أخوتسك و بحر اليابان، ومن الغرب تحدها روسيا البيضاء (بيلاروسيا، لاتفيا، إستونيا وخليج فنلندا والنرويج، حيث يقع إقليم كالينغراد الروسي بين ليتوانيا وبولندا، أما من الشمال فيحدها المحيط المتجمد الشمالي، وبالتحديد البحار المتفرعة عنه على غرار بحر بارنتس، بحر كارا، بحر لابتيف، بحر شرق سيبيريا وبحر تشوكوتكا، بينما يحدها من الجنوب الصين ومنغوليا وكازخستان وأذربيجان و جورجيا و البحر

¹ - أحمد النعيمي، السياسة الخارجية. (عمان: دار زهران للنشر والتوزيع، 2009)، ص. 200.

الأسود، في حين تجاورها من أقصى الجنوب الشرقي كوريا الشمالية، كما تجاور أيضا أمريكا الشمالية عبر مضيق بيرنج وآلاسكا وجزر الأليوشن¹.

● **المؤهلات الطاقوية:** تمتلك روسيا مؤهلات طبيعية وموارد معدنية، فهي تزخر بعدد من الموارد الطبيعية كالغاز الطبيعي والنفط والفحم، حيث تعد أكبر منتج للغاز الطبيعي في العالم بإنتاج قدر بـ 640.237 مليار م³، وثاني أكبر منتج للنفط بعد المملكة العربية السعودية بحصة قدرت بـ 10.6 مليون برميل يوميا، خلال سنة 2014، كما تعد ثالث أكبر منتج للكهرباء وخامس أكبر منتج للطاقت المتجددة، ناهيك عن امتلاكها للمعادن الاستراتيجية كالذهب والحديد والماس والنيكل والفوسفات والفضة والرصاص، كما تنفرد بميزة جيوسياسية أخرى باحتوائها على أكبر احتياطات العالم من المياه والتي تعد أهم عوامل استعادة النفوذ الروسي حاضرا ومستقبلا.

● **القدرات العسكرية:** تمتلك موسكو ترسانة نووية وقوة عسكرية بامتياز، فقد ورثت من الاتحاد السوفياتي: 90% من القوات الاستراتيجية النووية، 85% من قوات الدفاع الجوي الاستراتيجي، 58% من قوات الأسلحة التكتيكية النووية، 85% من القوات البرية، كما أنها تسيطر على 79% من الصواريخ العابرة للقارات و 100% من الغواصات النووية وغيرها²، وقد ارتبط تطوير روسيا المتصاعد لقدراتها العسكرية بعامل رئيسي يتجلى في عدم استقرارها من الناحية الجغرافية، فقد فرض عليها ذلك أن تخوض

¹ - لى مضر جريء الإمارة، المتغيرات الداخلية والخارجية في روسيا الاتحادية وتأثيرها على سياستها تجاه منطقة الخليج العربي في الفترة 1990-2003، ط.1. (الإمارات: مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2003)، ص ص. 15، 16.

² - زلي خليل زاد، التقييم الاستراتيجي. (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 1997)، ص ص. 106، 107.

صراعا جيوسراتيجيا مستمرا لتأمين مجالها الحيوي، حيث يغذي ذلك أهدافها التوسعية المتعلقة بضمان البقاء والاستمرار.

أصبحت روسيا تمتلك ترسانة عسكرية ضخمة، فقد تجاوز عدد دباباتها 15000، كما بلغ عدد طائراتها النفاثة 3082 و 736 مقاتلة وحوالي 1289 طائرة هجومية، ناهيك عن امتلاكها للقوة الصاروخية قصيرة ومتوسطة وبعيدة المدى، وعدد لا يستهان به من الأساطيل البحرية والغواصات النووية وحاملة طائرات واحدة، كما بلغ عدد الجنود العاملين 766 ألفا جندي، في حين وصل عدد جنود الاحتياط 2485000 جندي سنة 2014¹، تجدر الإشارة إلى أنّ استراتيجية إعادة تسليح الجيش الروسي قد جسدت إحدى أولويات الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، وذلك منذ توليه مقاليد الحكم، حيث يندرج ذلك في إطار إيمانه الراسخ بأن عودة روسيا إلى الساحة الدولية تقتضي اقتصادا متعافيا، جيشا متماسكا وسياسة حاسمة، وعلى أساس ذلك اصدر مرسوما جديدا سنة 2001 يقضي بإحياء مجد البحرية الروسية و استعادة دور روسيا كدولة بحرية رئيسية².

● **التنوع العرقي وترسخ روح الوحدة الوطنية:** يعد التلازم بين التنوع العرقي وروح الوحدة الوطنية إحدى مقومات القوة الروسية التي أعطت دفعا مهما لأدوارها الخارجية، فالرؤية المشتركة و الولاء للوطن إحدى السمات التي تميز الشعب الروسي عن الشعوب الأوروبية و الأمريكية التي تعتبر الرفاه و الازدهار سبب للوفاء للوطن، فالشعور بالانتماء إلى الوطن الأم هو أساس قوة روسيا ووحدها بغض النظر عن ذلك التنوع العرقي، فرغم الأزمات المتتالية التي عاشتها روسيا،

¹-حيدر زهير جاسم، روسيا الاتحادية مقومات القوة وتحديات المستقبل، مجلة الدراسات الدولية، بغداد، ع.67، سنة 2017، ص.260.

²- لى مضر جريء الإمارة، مرجع سابق، ص. 32.

وحساسية الجغرافيا إلا أن هذا العامل يجعل منها قوة تحتل الصدارة العالمية، وفي هذا السياق يقول دوغين: "إن تشكل روسيا الجيوسياسي قام على أساس فريد بخلاف الأسس التي قامت عليها الدول الأوروبية، فهي ليست دولة وحيدة الإثنية وليست دولة -أمة، لكنها منذ البدايات كانت صورة الدولة الإمبراطورية كامنة، بداية من توحيد القبائل السلافية- الأوغرية- الفنلندية"¹.

الفرع الثاني: المحددات الداخلية والخارجية للدور الروسي في الصراع السوري:

- البيئة الداخلية وتأثيرها على الدور الخارجي الروسي:

يقول أندرو مورافيسك: "إن المصالح الوطنية للدول تصنعها النقاشات والتدخلات و التفاعلات الداخلية بين مختلف الفاعلين الاجتماعيين في الدولة، بحيث تسعى كل مجموعة للتأثير على صانع القرار بما يتماشى ومصالحها، وهذا بالاعتماد على تحالفات وطنية أو قد تكون فوق قومية، تفرض على الحكومة أخذها بعين الاعتبار أثناء صناعة القرار سواء الداخلي أو الخارجي للدولة"²، فلا يمكن فهم طبيعة الدور الخارجي الروسي دون تحليل الاطار الذي يصنع فيه، والذي يركز بدرجة أولى على:

- تأثير شخصية القائد فلاديمير بوتين ومشروعه الطموح: حسب الدستور الروسي فان رئيس الدولة يأتي على قمة هرم الفاعلين في صنع التوجه العام للدور الخارجي للدولة، فهو محور عملية صنع القرار في روسيا ومركز الثقل في هذه العملية³، فمنذ وصول بوتين إلى الحكم، أبدى عزمه على انتهاج مسار براغماتي يدعم الاستقرار السياسي

¹ - محمد شعبان أيوب، بوتين زعيما للعالم المسيحي...الأبعاد الدينية وراء الغزو المحتمل لأكرانيا، الجزيرة نت، 2022/02/17، الرابط الإلكتروني :

<https://www.aljazeera.net/midan/reality/politics/2022/2/1>

² - زلي خليل زاد، مرجع سابق، ص. 119.

³ -نورهان الشيخ، صناعة القرار في روسيا والعلاقات العربية -الروسية، ط.1. (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998)، ص.28.

والاجتماعي والاقتصادي، ويسمح بعودة روسيا كقوة عظمى، ولتحقيق ذلك ركز بوتين جهوده على التأثير في الجوار الآسيوي، كإحدى السبل لاستعادة الأمجاد الروسية، وقد مكنه ذلك من تطوير فكرة روسيا القوة العالمية التي تمتد على قارتين، وتوظيف المزايا الأوراسية لإنجاح هذا الدور المتميز، وهو ما أكدّه بقوله: "أن روسيا دائماً تتحرك على أنها دولة أوراسية، لا تنسى أن الجزء الأكبر من إقليمها موجود في آسيا".¹

- دور السلطة التشريعية (البرلمان): تتضمن هذه الأخيرة مجلسين ينبغي الحصول على موافقتهما مع الرئيس لإقرار القوانين، وهما:

■ المجلس الأعلى (مجلس الفيدرالية): الذي يتولى الأمور المتعلقة بالفيدرالية لاسيما، تلك المرتبطة باستخدام القوات المسلحة خارج روسيا.

■ المجلس النيابي (مجلس الدوما): وهو الغرفة السفلى في البرلمان والمجلس التشريعي الأول، حيث يتولى هذا الأخير الموافقة على تعيينات الرئيس لرئاسة مجلس الوزراء، البنك المركزي، تحديد الضرائب ومراقبة الإصدار النقدي.

■ وزارة الخارجية الروسية: تلعب دوراً بارزاً في توجيه السياسة الخارجية الروسية ورسم معالم الدور الروسي في الصراع السوري.

■ المؤسسة العسكرية وجهاز الاستخبارات KGB: يعمل اللوبي العسكري على التأثير على سياسات الكرملين، وذلك من خلال مطالبة معظم جنرالات المؤسسة العسكرية الروسية بإحياء أمجاد الامبراطورية الروسية، ويظهر ذلك جلياً من خلال تأثير المجمع الصناعي العسكري على السياسة الخارجية الروسية.²

■ جماعات الضغط والرأي العام: حيث تسعى هذه الفواعل إلى ممارسة ضغوطات متزايدة على السلطة السياسية في روسيا قصد تغيير توجهاتها الخارجية، ويتعلق المر

¹ -Anne de Tinguy, Vladimir Poutine et l'Occident : l'heure est au Pragmatisme, Politique Etrangère, 31 Mars 2001, P.P.301, 302.

² - لمى مضر جريء الإمارة، مرجع سابق، ص.102.

على وجه الخصوص بكل من اللوبي النفطي والكنيسة الأرثوذكسية، لاسيما بعد استعادة دورها الفاعل بعد وصول بوتين إلى سدة الحكم.

- **المحددات الخارجية:** وترتبط ارتباطا وثيقا بمدى ملائمة السياق لتجريح الكفة الدولية لمصلحة روسيا، وذلك حتى تؤدي دورا بارزا في الساحة الدولية، لاسيما من خلال استغلال فشل استراتيجية التدخل العسكري المباشر للولايات المتحدة الأمريكية، وتورطها في كل أفغانستان، العراق وليبيا.

المطلب الثاني: خلفيات الدور الروسي في الصراع السوري وأبعاده:

الفرع الأول: الخلفيات والدوافع:

- **الحفاظ على أهم المناطق الحيوية المرتبطة بالأمن القومي الروسي:** تعد سوريا بلدا محوريا بالنسبة للتطلعات الروسية الجيوستراتيجية، حيث تعد المنفذ الوحيد المتواجد خارج الأراضي الروسية إلى المياه الدافئة، فمن المفيد جدا أن يكون لروسيا مرفأ دائم في البحر الأبيض المتوسط، والذي بواسطته تستطيع روسيا الربط بين مصالحها ببلاد الرافدين والشرق الأدنى، وبناء تحالفات متينة مع دول المنطقة.

- **الطموح الروسي الرامي للعب دور جيوسياسي أكبر،** يسمح بتعزيز علاقات الدعم والتعاون مع الدول الحليفة: حيث تعتبر روسيا النظام السوري شريكا استراتيجيا مهما، يضمن لها دعمه مزايا تسمح لها بمنافسة الولايات المتحدة الأمريكية، لاسيما وأنها تهدف إلى استعادة مكانتها والحفاظ على دورها في منطقة الشرق الأوسط، كما أنها ليست مستعدة لخسارة مناطق نفوذ أخرى، تعتبر حيوية لأمنها القومي¹.

- **التخوف الروسي من تكرار التجربة الليبية والاستفادة من الدروس السابقة:** لقد جسّد التدخل العسكري لحلف شمال الأطلسي في ليبيا، وفقا للقرار 1973 الصادر عن

¹ - سهام فتحي سليمان أبو مصطفى، **الزمة السورية في ظل تحول التوازنات الإقليمية والدولية 2011-2013**، مذكرة ماجستير، (غزة: جامعة الأزهر، 2015)، ص. 128.

مجلس الأمن في مارس 2011، ودون أي اعتراض روسي، فرصة لضرب أهم المبادئ الثابتة في السياسة الخارجية الروسية، الذي يقضي برفض التدخل في الشؤون الداخلية للدول، حيث ساهم ذلك في انحسار تواجدتها وتراجع نفوذها في أهم مناطقها الحيوية في العالم، وهو ما يبرر رفضها القاطع والمتوالي لاحقا لأي اقتراح لمجلس الأمن من شأنه إدانة نظام الأسد.

- هاجس الارهاب وتصاعد مد الحركات الإسلامية المتشددة الى السلطة بدول الجوار الروسي: لطالما جسدت التجارب الروسية في أفغانستان والشيستان هاجسا أمنيا ومعضلة تخشى روسيا تكرارها في الدول المحاذية لها (الجوار القريب)، كما أنها تخشى تنامي النفوذ التركي في سوريا، خاصة بعد النجاح السياسي والاقتصادي الذي حققه حزب العدالة والتنمية، حيث تسعى روسيا من خلال دورها الى خلق توازنات تسمح بتقويض النفوذ التركي في مناطق النفوذ الروسي¹.

الفرع الثاني: أبعاد الدور الروسي في الصراع السوري:

- البعد الإقليمي للدور الروسي في الصراع السوري: يندرج ضمن رؤية استراتيجية وثيقة الصلة بمنطقة الشرق الأوسط وشبكة التحالفات التي تربط روسيا باللاعبين الإقليميين في المنطقة، على غرار الحليف السوري الذي يتقاسم مع روسيا هدفا مشتركا يتجلى في تحجيم التواجد الأمريكي في المنطقة، فيمكن لروسيا إلى جانب إيران وبالتعاون مع النظام السوري أن تتوصل إلى ضبط الأوضاع الأمنية في سوريا، وذلك بعد انسحاب الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها من منطقة الشرق الأوسط، لاسيما وأن تدخلها في

¹ - سهام فتحي سليمان أبو مصطفى، مرجع سبق ذكره، ص. 129.

كل من العراق وأفغانستان قد تمخض عنه مأزق أمني خطير ساهم في انتشار صارخ للإرهاب، ويعد ذلك أهم بعد للإصرار الروسي على حماية النظام السوري من الانهيار¹.

- البعد الدولي: المشاركة في إدارة الشؤون الدولية واستعادة المكانة العالمية: وذلك من خلال العودة بقوة إلى إدارة الشؤون الدولية والقضايا الشائكة في منطقة الشرق الأوسط، وذلك عبر البوابة السورية، فالمتبع للطريقة التي أراد أن يدير بها فلاديمير بوتين للصراع في سوريا تجعله يستقي أن روسيا تسعى إلى التأثير عالميا من خلال فرض نفوذها في منطقة الشرق الأوسط، نظرا لكونها مفتاحا للهيمنة العالمية، وإحدى ضمانات استحواذ روسيا على الزعامة الدولية.

المطلب الثالث: مرتكزات الدور الروسي في الصراع السوري:

تلخص مقولة القيصر الروسي ألكسندر الثالث (1845-1894): "الأعداء يحيطون ببلادنا من كل جانب وعلينا أن ندرك أنه ليس لروسيا أصدقاء سوى جيشها وأسطولها البحري"² طبيعة الدور الروسي في الصراع السوري، فهي تحمل في طياتها عديدا من الدلالات المرتبطة بمرتكزات الدور الروسي في الصراع السوري، والتي تتلخص في:

- حماية الأمن القومي الروسي وتقليص إمكانية تغذية التطرف في العالم: تعتبر روسيا أن الجهود التي تبذلها الجماعات المتطرفة على غرار كل من القاعدة و داعش لاستعادة الخلافة العظمى تهدد بالخطر على رقعة واسعة من العالم تمتد من ليبيا إلى أفغانستان مروراً بالعراق وسورية، وحسب وجهة نظرها فان تنامي ظاهرة

¹ - نزار عبد القادر، روسيا والأزمة السورية: مصالح جيوسياسية وتوقعات مع الغرب. الدفاع الوطني اللبناني، ع.84، نيسان 2013.

² - عاطف معتمد عبد الحميد، استعادة روسيا مكانة القطب الدولي: أزمة الفترة الانتقالية، مرجع سبق ذكره، ص.45.

التطرف تلك هي نتيجة تبني الولايات المتحدة الأمريكية لاستراتيجية الفوضى الخلاقة، حيث دعمت المتطرفين في أفغانستان ضد الاتحاد السوفياتي في ثمانينيات القرن المنصرم، وهو ما أسفر عنه بروز تنظيم القاعدة، كما أن الجهود الغربية لإسقاط نظام القذافي في ليبيا قد تمخض عنها انتشار الأسلحة والإيديولوجيات المتطرفة في شمال إفريقيا، هذا إلى جانب تشكيل جماعات متطرفة في كل من العراق وسوريا¹، وفي هذا السياق يقول سيرغي ايفانوف رئيس الجهاز الإداري لبوتين "إن روسيا قد قررت التدخل في سوريا لحماية روسيا ذاتها من متشددى التنظيم.....نحن هنا نتحدث عن مصالح الأمن القومي الروسي.....فمن الحكمة أن تتخذ موسكو خطوات استباقية، خاصة وأنها قلقة من تزايد عدد الروس الذين جندهم تنظيم القاعدة للقتال معهم، لذلك من الأهمية والأجدر أن نفعل ذلك في جهات بعيدة بدلا من مواجهة القضية داخليا فيما بعد"².

- ضمان الاستقرار الداخلي لروسيا: حيث يرتبط الاستقرار الداخلي لروسيا باستقرار مناطقها ومجالاتها الحيوية على غرار سوريا، ويعد ذلك إحدى مبررات الدعم الروسي لنظام الأسد، فلا ينبغي لموسكو السقوط في نفس الأخطاء السابقة، كما حدث في العراق وليبيا، فبعد إسقاط رؤوس الأنظمة فيها، شهدت تلك الدول في فوضى لا متناهية، قابلة للتصدير إلى دول الجوار، وانفلات الأوضاع مما صار ينذر بمأزق أمني يصعب احتوائه؛

¹-Dmitry Gorenburg, Moscow Conference on International Security 2015, Part 5 : International Cooperation in Combatting Terrorism, 2nd June 2015, Russiamil.Wordpress.Com

² -الخارجية الروسية: داعش يدرب مسلحين من روسيا في أفغانستان، 2015/10/08، 13:21، الرابط الإلكتروني:

- عزم موسكو على اعتماد استراتيجية لتطويق امتداد حلف شمال الأطلسي إلى الحدود الروسية: فمن خلال تكثيف تواجدها في المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط ستطوق هذا الامتداد، وستتمكن من تحويل منطقة البحر الأبيض المتوسط إلى منطقة نفوذ سياسي وعسكري تضمن استقرارها؛
- إيجاد حلول لأزمة الوصول إلى المياه التجارية والممرات المائية الدولية: تعد روسيا أرضا مغلقة وحبيسة من الناحية الجغرافية، فالمحيط بعيد جدا عن الوسط الروسي، كما أن موانئها تتعطل في فصل الشتاء، وباستثناء المحيط المتجمد الشمالي فإن الوصول إلى مياه المحيط يتحكم فيه ظروف دول أخرى، حيث تمتلك ميناء كالينغراد، الذي لا يتصل بها جغرافيا وإنما تفصله عنها ليتوانيا، في حين أن خليج فنلندا يتجمد في فصل الشتاء ويعزل مدينة سان بطرسبرغ، كما أن مينائي فلاديفوستوك ومورمانسك، يبعدان عن المركز ولا يفيدان روسيا كثيرا، ويمكن للدول المحاذية منع السفن الروسية من العبور وهو ما تبرزه الخريطة أدناه:



نلاحظ أن روسيا تواجه تحديا جيوسراتيجيا بارزا، فحتى تبلغ روسيا مياه التجارة العالمية لابد أن تمر عبر ثلاث مسارات: عبر البحر الأسود مروراً بمضيق البوسفور، الذي يتحكم

فيه تركيا ويمكنها اغلاقه في أي وقت، من موانئ سان بطرسبرغ عبر المياه الدنماركية وهو ممر يسهل من خلاله عرقلة مرور السفن الروسية، وأخيرا طريق القطب المتجمد الشمالي الطويل و الذي يبدأ من مورمانسك ويمتد إلى ما بين جرين لاند وآيسلندا والمملكة المتحدة، وللإشارة فإن هذا الممر قد تم توظيفه في الأيسلندية لمنع مرور السفن الروسية إلى المحيط الأطلسي، وهو ما يبرر لجوء روسيا إلى اعتماد استراتيجية بحرية جديدة تضمن لها السيطرة الدائمة على معابر بديلة في الجوار البعيد و بالتحديد في سوريا، فمن خلالها يمكنها التحكم في مصير مرور السفن التجارية و مرور الأنابيب الطاقوية، كما سيمكنها ذلك من تفادي قرارات أوروبية مستقبلية تقضي بمنع سفنها من المرور عبر الطرق المائية الثلاث التي تشق الدول الأوروبية، بمعنى آخر تسعى روسيا إلى توظيف الجغرافيا السورية للتأثير في معادلات الطاقة إقليميا ودوليا، بما يضعف محاولات استهداف المجالات الحيوية التي تهدد بضرب اقتصادها.

المبحث الثاني: الاستراتيجية الروسية لإدارة الصراع في سوريا ومنحى استعادة النفوذ:

جسدت سوريا إحدى ساحات رد الفعل الروسي في منطقة الشرق الأوسط، فقد وجدت ضالتها لتحقيق أهدافها الجوهرية، المرتبطة ارتباطا وثيقا بضمان استمرار نفوذها الإقليمي واستعادة مكانتها على الساحة الدولية.

المطلب الأول: الأهداف الاستراتيجية للدور الروسي في الصراع السوري:

الفرع الأول: الأهداف الجيوبوليتيكية والأمنية:

ترتبط الأهداف الروسية في الصراع السوري ارتباطا وثيقا بالجغرافيا السياسية وحماية الأمن القومي الروسي، وهي تسعى من خلال دورها في ذلك الصراع إلى:

- الدفاع عن مصالحها الحيوية والحفاظ على مجالاتها الجيوستراتيجية في إطار ما يعرف بـ "تجدد الحلم الكاتريني في السيطرة على سوريا الكبرى": فبضمان تواجد روسيا

بصفة دائمة في "سوريا"، ومن خلال العمل على التأثير العميق في مسار الصراع ومواقف الأطراف المتدخلة هناك، ستمكن من تجسيد إحدى أهم الأهداف التي سعت كاترينا الثانية أو كاترينا العظيمة إلى تحقيقها تحت شعار "سوريا الكبرى هي مفتاح البيت الروسي".

- استغلال التراجع الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط وتعزيز النفوذ الروسي بها، على النحو الذي يضمن حماية الأمن القومي والمصالح العليا للبلاد من جهة، ويضمن لها مركز المدافع الإقليمي وحامي الدول الحليفة من جهة أخرى.

- كسر العزلة الدولية واستعادة المكانة العالمية: ضمان خروج موسكو من العزلة المفروضة عليها من الغرب، وإعادة إحياء طموح الحدود البعيدة، والتأكيد على عودتها من جديد كقوة عظمى يمكنها أن تدير شؤون السياسة العالمية، فقد أضى المستقبل الجيوبوليتيكي لروسيا المحدد الرئيسي لمكانتها الجيوسياسية، حيث "دشنت مرحلة جديدة من خلال عودتها إلى حتمية الصراع التقليدي، للسيطرة والتحكم في ثلاثية" الأرض، الممرات البحرية والكتل القارية"¹، وهو ما أطلق عليه الأوراسيون الجدد وعلى رأسهم ألكسندر دوجين عبارة "التضريس الجغرافي مصيرا ووسيلة لاستعادة روسيا لعظمتها، كونها المهيمن على الفضاء الأوراسي"².

الفرع الثاني: الأهداف السياسية والاقتصادية: وقد تمحورت حول:

- تأسيس علاقات اقتصادية طويلة الأمد: ضمانا لتعافي الاقتصاد الروسي، احتفظت روسيا بعلاقات جيدة مع سوريا في المجال الاقتصادي، فقد بلغ حجم التبادل التجاري

¹ - آمال زرنيز، الأوراسية الجديدة وتأثيرها في الفكر الاستراتيجي الروسي، دوافع التدخل في أوكرانيا وروسيا وحدوده، ط. 1. (مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2022)، ص. 10.

² - ألكسندر دوجين، أسس الجيوبوليتيكا، مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي، ترجمة عماد حاتم، ط. 1. (بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2004)، ص. 7.

بين روسيا وسوريا حوالي مليار دولار أمريكي سنة 2010، لكنه شهد ارتفاعاً بعد اندلاع الاحتجاجات سنة 2011 بحوالي 2 مليار دولار، وهو ما دفع موسكو إلى تنشيط التبادل التجاري مع الحليف السوري والمضي معه بعلاقات تجارية أقوى.

- توسيع فرص الإستثمار في قطاع الطاقة السوري وتفاذي احتمال استبدال الغاز الروسي: تسعى روسيا إلى الاستثمار في مجال الغاز والنفط بسوريا، لاسيما بعد استقرار الأوضاع بها، وفي هذا الشأن عبر الاتحاد الروسي عن رغبته في استثمار ما لا يقل عن 1.6 مليار دولار في عقود الطاقة، كما أنه في سنة 2013 وقعت الحكومة السورية اتفاقية مع شركة سيوزنفتاغاز الروسية، من أجل الحفر والتنقيب عن النفط والغاز في منطقة قبالة الساحل السوري وفق عقد يستمر لمدة 25 عاماً، وهو مؤشر يوحى بتنامي فرص استثمار الشركات الروسية في ميدان الطاقة السورية.

- الحفاظ على الأمن الطاقوي الروسي وضمان السيطرة على أهم معبر للإمدادات الطاقوية: تهدف روسيا إلى الاستفادة من موقع سوريا للسيطرة على إمدادات الغاز الأوروبية وتوسيع نطاق هيمنتها شرق منطقة البحر الأبيض المتوسط، حيث تحرص على إحباط كل محاولات مد أنابيب طاقوية بديلة تنافس إمداداتها إلى أوروبا، وحسب جيف مانكيو فان "روسيا تحرص على عدم إقدام أطراف أخرى على زيادة إمداداتها الطاقوية بطريقة تنافسها"¹، لذلك فقد بلورت استراتيجيتها في هذا الشأن لحماية حصتها التي تبلغ حوالي 64%² من الإمدادات الطاقوية.

- تبرير التواجد العسكري الروسي في سوريا وتوسيع نطاق الهيمنة الطاقوية في الجوار السوري: من خلال استثمارها في البنية التحتية الطاقوية في سوريا، تسعى روسيا إلى ضمان تأمين مصالحها النفطية والغازية في العراق، وذلك بإعطاء الدفع اللازم

¹- Nikita Sogoloff, Russia's Energie Goals in Syria, Fikra Forum, Washington Institute for Near East Policy, 30 Aug 2017, <https://www.washingtoninstitute.org>.

²- سلام السعدي، أهداف روسيا الطويلة الأمد في سوريا، مركز كارينغي للسلام الدولي، 6 أكتوبر 2015

لإعادة بناء خط أنابيب كركوك (العراق)- بانياس (سوريا)، على بعد 35 كلم شمال قاعدتها العسكرية بطرطوس، حيث ستمكن الشركات الروسية من نقل الغاز و النفط عبر انابيب نفطية شيدتها بنفسها، وشحنها من ميناء يخضع لحمايتها العسكرية، وهي خطوة ستسمح لروسيا بالسيطرة على تلك البنى التحتية من جهة، وتبرير تواجدها العسكري في سوريا بأنه يندرج في سياق حماية مصالحها الاقتصادية من جهة أخرى.

الفرع الثالث: الأهداف الحضارية والدينية:

تضمنت المادة 12 من وصية بطرس الأكبر قيصر روسيا على أنه "ينبغي أن نستعمل جميع المسيحيين الذين هم من مذهب الروم المنكرين رئاسة البابا الروحية والمنتشرين في بلاد المجر والممالك العثمانية وفي جنوبي ممالك له، ولنلجئهم إلى أن يتخذوا دولة روسيا مرجعا ومعينا لهم، ومن اللازم قبل كل شيء إحداث رئاسة مذهبية حتى نتمكن من إيجاد نوع من الحكومة الرهبانية عليهم، فنسعى بهذه الوساطة لاكتساب أصدقاء كثيرين ذوي غيرة نستعين بهم في كل ولاية من ولايات أعدائنا..." وتفسر هذه المقولة بشكل جلي الأهداف الحضارية والدينية التي تسعى روسيا إلى تجسيدها من خلال دورها المؤثر في الصراع السوري، والتي ترتبط بـ:

- حماية الأقلية المسيحية الأرثوذكسية في سوريا: حيث يرى بعض المحللين للسلوك الروسي أن المسيحيين السوريين يتبعون بشدة الكنيسة الأرثوذكسية الروسية، ويعتبرون أن روسيا هي الحامي الطبيعي لوجودهم هناك، وفي هذا السياق اشارت واشنطن بوست في احدى مقالاتها أن روسيا تسعى جاهدة إلى تعزيز نفوذها في سوريا من خلال الأرثوذكس، وأكدت على وجود مجموعات روسية من رجال الدين، وجماعات إغائية، و موظفين حكوميين، يعملون بهدوء على تعزيز علاقاتهم مع المكونات المسيحية في سوريا، حيث يندرج ذلك ضمن خطة لتعميق الروابط الاستراتيجية مع المسيحيين في

سوريا¹، وهو ما تؤكدته مقولة ميخائيل بيوتروفسكي مدير متحف الدير الحكومي² بسانت بطرسبرغ: "إذا انهارت المسيحية في الشرق الأوسط، فستنهاري في كل مكان، لذلك يمكن لروسيا من خلال وجودها هناك أن تدافع عن المسيحية مثلما فعلت الإمبراطورية الروسية من قبل"، حيث اعتبر أن دخول روسيا إلى سوريا هو نابع بوضوح شديد من الثقافة المشتركة³، وهي مقولة توجي بالامتدادات الروحية لروسيا مع المسيحيين الأرثوذكس في الأراضي السورية المقدسة.

- إحياء الرؤية الأرثوذكسية لروسيا القيصريّة وإعادة بعث العلاقات الروسية مع دول الامتداد الديني والروحي على غرار سوريا: وذلك على النحو الذي يمكن سوريا من التوغل في الداخل السوري، ليصبح المصير مشتركاً وموحداً، فقد أسس بوتين للعودة إلى الحقبة الذهبية للكنيسة الأرثوذكسية، وأعاد التقدير والاحترام لرجالها، واستند في ذلك على القيم الروحية التي تأسست عليها الجمهورية الاتحادية الروسية، حيث أعلن بذلك عن عودة روسيا إلى النموذج الذي ورثته عن الإمبراطورية البيزنطية القديمة، فتمكن روسيا من استمالة أتباع المذهب الأرثوذكسي المنتشرين في الممالك العثمانية، وجعلهم يتخذون من دولة روسيا مرجعاً ومعيناً لهم، وهو ما يتطلب قبل كل شيء أحداث

¹ - Amie Ferris-Rotman, During Easter Season, some Russians look to strengthen bonds with Syria's embattled Christians: The Kremlin has cast itself as a guardian of Syria's ancient Christian communities, Washington Post, April 20, 2019 at 8:00, <https://www.washingtonpost.com>.

² - يوجد في متحف الدير أكبر مجموعة في العالم من التحف والآثار السورية القديمة، بما في ذلك من تدمر.

³ - Amie Ferris-Rotman, ibid.

رئاسة مذهبية حتى تتمكن روسيا من فرض نفوذ رهباني عليهم، فتكسب بهذه الوسيلة أصدقاء كثيرين يستعان بهم في محاربة أعدائها¹.

المطلب الثاني: آليات التأثير الروسي لفرض النفوذ الإقليمي واستعادة المكانة العالمية:
الفرع الأول: الدعم السياسي والدبلوماسي للنظام السوري:

تجلت مظاهر تفعيل القوة الناعمة الروسية في الصراع السوري فيما يلي:

- تمكن روسيا من حل قضية الأسلحة الكيميائية السورية: سعت روسيا إلى دعم نظام الأسد من خلال عديد من المبادرات، خاصة فيما يتعلق بملف "استعمال الأسلحة الكيميائية ضد المدنيين في ريف دمشق" سنة 2013، حيث تمكنت من الوصول إلى تسوية سياسية تقضي بانضمام سوريا لمعاهدة حظر انتشار الأسلحة الكيميائية، وقد ساهم هذا الموقف الروسي الناجع في تجنب سوريا ضربة عسكرية أمريكية وشيكة تم التراجع عنها بتأثير من روسيا، حيث تلاشى احتمال وقوع معركة مباشرة مع قطب منافس لها.
- الاستمرار في معارضة إصدار أي قرار من مجلس الأمن من شأنه إدانة النظام الحليف: لقد لعبت روسيا دور المدافع الدبلوماسي والحامي السياسي للمصالح المشتركة بالمنطقة، وذلك من خلال استخدامها لحق الفيتو، تجنباً منها لأن يصبح السيناريو السوري شبيهاً بما حصل في ليبيا²، حيث عارضت بشدة مشاريع القرارات الصادرة عن مجلس الأمن، التي تدعو إلى الإطاحة بنظام الأسد، حيث ارتكز موقفها على الدعوة إلى تبني أسلوب الحوار واعتبار أن استمرار نظام الأسد هو جزء من الحل السياسي، فقد

¹--محمد رشيد بن علي رضا وآخرون، كتاب مجلة المنار، وصية بطرس الأكبر قيصر روسيا، ج.5. (مصر: مجلة المنار، 1327)، ص.947

² -Delanoe Igor, Des Enjeux de L'intervention Russe En Syrie, Paix et Sécurité Européenne et Internationale. Université Cote d'Azur, 31 Mai 2021, <https://hal.science:>

شكل استخدام موسكو لحق الفيتو عدة مرات متتالية سابقة من نوعها في تاريخ العلاقات الدولية، بلغ عددها ستة (06) مرات لاسيما في الفترة الممتدة ما بين سنتي 2011 و2016.

إنّ تحليل جملة القرارات التي أعلنها السفير الروسي في الأمم المتحدة فيتالي تشوركين تبرز وجود عدة مبررات تفسر استخدام موسكو لحق النقض ضد تلك المشاريع والقرارات التي تقدمت بها الدول العربية والغربية لمعالجة الصراع السوري، أهمها:

- تنافي تلك المشاريع مع مبدأ حق سيادة الدولة؛
- عدم قبول موسكو باختراق أهم ثوابت سياستها الخارجية، مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول؛

- أنها مشاريع تهدد وتعرقل المبادئ التي سبق الاتفاق عليها في اجتماع جنيف¹.

الفرع الثاني: توظيف القوة الصلبة (العسكرية):

- تقديم الدعم العسكري للنظام الحليف: باشرت روسيا مساندتها للنظام الروسي عسكريا (بصفة غير مباشرة) من خلال تسليح قواته بالعتاد العسكري اللازم لحربه ضد الجهات الداخلية المعارضة، حيث جسدت موسكو الحليف القوي لنظام الأسد ومصدرا رئيسيا لإمداداته العسكرية، وقد جعلت موسكو من ذلك سانحة ملائمة لاستعراض قوتها العسكري، وقدرتها على توجيه عدة ضربات من بحر قزوين قاطعة الأراضي الإيرانية والعراقية للوصول إلى أهدافها المحددة.

- التدخل العسكري الروسي المباشر في سوريا: جندت روسيا أكثر من 4500 محارب من بينهم 2400 جندي روسي، للتدخل الميداني الروسي في سوريا¹، حيث جسدت من خلال

¹- Gladstone Rick, friction at the UN as Russia and china veto another resolution on Syria sanctions. The New York Times, July 19th, 2012, <https://www.nytimes.com>.

ذلك مضمون البند الأول لوصية بطرس الأكبر، فحسبه فإن العساكر لا بد أن تقاد دائما إلى الحرب، وينبغي للأمة الروسية أن تكون متمادية على حالة الكفاح لتألف الحرب... وذلك لأجل زيادة قوتها وتوسيع منافعها، وقد ذكر في وصيته وتحديدا في بندها التاسع ضرورة تمكن روسيا من استعادة تجارة الممالك الشرقية إلى بلاد الشام والوصول منها إلى بلاد الهند، وهو ما يمكن اعتباره إحدى مبررات التدخل العسكري الروسي في سوريا².

- الانسحاب التدريجي للقوات العسكرية بعد ترجيح الكفة لصالح روسيا: إن إعلان الرئيس الروسي فلاديمير بوتين عن سحب قواته العسكرية في 14 مارس 2016، كنهاية للعمليات الجوية والسحب الجزئي للقوات الروسية في سوريا، جاء كنتيجة لتمكن روسيا من تكثيف تواجدها العسكري في قاعدتها العسكرية، وكذا لتمكنها من تحقيق هدفها الرئيسي المعلن وهو حماية النظام السوري، وضمان استمراره، والأهم من ذلك أنها قد تمكنت من إقامة منطقة حظر متوسطة شرقية، من خلال إرسائها لأنظمة الردع الجوي، ناهيك أنها لا تحبذ نهج التورط العسكري طويل المدى كونه سيفضي لامحالة إلى اضعاف اقتصادها نتيجة للتكاليف الضخمة المترتبة عن ذلك.

المطلب الثالث: تدويل الصراع في سوريا وميكانيزمات استعادة النفوذ الروسي:

ارتبط تدويل الصراع السوري بأدوار الأطراف الخارجية المؤثرة في مساره، سواء تعلق الأمر أساسا باندلاعه، تغذية استمراره لفترة زمنية طويلة أو مساعي تسويته ووضع نهاية له (حله بصفة نهائية).

¹- Igor Delanoe, Ibid.

²- محمد رشيد بن علي رضا وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص. 947.

لقد ساهم الدور الروسي في إدارة الصراع الدولي في سوريا، إلى إبراز مدى قدرتها على التأثير في توجهات مختلف الأطراف الدولية، من خلال تفعيل عناصر قوتها الصلبة والمرنة على السواء، فقد تمكنت من إظهار أن تدخلها العسكري في سوريا هو بمثابة دعم عسكري، يستهدف القضاء على الفوضى التي خلقتها الولايات المتحدة الأمريكية جراء سعيها لنشر القيم و الممارسات الديمقراطية التي لا تراعي خصوصيات المجتمعات العربية بشكل عام، و المجتمع السوري على وجه الخصوص، ومشاركة في الدفاع عن حق الدول في تقرير مصيرها مواجهة بذلك التدخلات الخارجية الإقليمية و الدولية، ومكناها ذلك من بناء صورة متكاملة في الإدراك الدولي على أنها حليف يمكن الاعتماد عليه في مواجهة التحديات الخارجية على غرار التدخل الأجنبي الذي يمكنه أن يفكك سيادة الدول، ويجعلها هشة سهلة الاختراق و التفكيك، ومن جهة أخرى أفضى تدويل الصراع في سوريا إلى تأكيد روسيا بأنها ستدافع بكل مقوماتها في سبيل الحفاظ على تحالفاتها الاستراتيجية حفاظا على مكتسباتها الجيوبوليتيكية.

المبحث الثالث: مآل الدور الروسي في الصراع السوري وتداعياته الراهنة والمستقبلية:

المطلب الأول: التداعيات الإقليمية والعالمية للدور الروسي في الصراع السوري:

- قلب موازين القوى في منطقة الشرق الأوسط: فقد أكدت روسيا أنه لا يمكن تسوية الصراع السوري بمنأى عن دورها الفاعل، وتمكنت من عرقلة جميع المحاولات الغربية المنضوية تحت غطاء هيئة الأمم المتحدة، وجعلت مجهودات هذه الأخيرة مقتصرة على تهدئة الأوضاع، كما تمكنت أيضا من منع أي تغيير ثوري، حتى لا يتكرر سيناريو الثورات الملونة، وفي هذا السياق أكد بشار الأسد في مقابلة له مع وكالة سبوتنيك أن الوجود الروسي في سوريا ضروري ومرتبطة بتوازن القوى في العالم... فلا

يمكن للدول العظمى اليوم أن تلعب دورها من داخل حدودها، لابد أن تلعب الدور من خارج الحدود، من خلال حلفاء موجودين في العالم أو من خلال قواعد عسكرية¹؛

- ترسيخ هيبة روسيا وتعميق الثقة فيها كحليف يمكن الاعتماد عليه في منطقة الشرق الاوسط: لقد أكدت روسيا أنها حليف وثيق للنظام السوري، فقد تمكنت من تحويل كفة الصراع لصالح نظام الأسد، فقد قدمت له الدعم السياسي و الدبلوماسي، العسكري وحتى الروحي و الحضاري حينما اقتضت الحاجة، بخلاف الولايات المتحدة الأمريكية التي تخلت عن حلفائها من القادة العرب الذين أسقطتهم ثورات الربيع العربي، حيث سجل تواجد عسكري كبير للقوات الروسية على الأراضي السورية منذ سنة 2011، وهي معطيات تؤكد على أنها حليف وثيق لسوريا؛

- تأمين روسيا لمنفذها الوحيد إلى المياه الدافئة نحو منطقة البحر الأبيض المتوسط: حيث سيسمح ذلك مستقبلا بضمان حرية حركة القوات الروسية نحو مختلف مناطق العالم؛

- تمكن روسيا من توحيد مجهودات الأطراف الفاعلة في الصراع السوري صوب مكافحة الإرهاب الدولي بدلا من تركيزها على الإطاحة بنظام الأسد: فتحييدا بعد الأحداث (التفجيرات) الإرهابية التي شهدتها فرنسا نوفمبر 2015، استغلت روسيا الاوضاع للترويج بمدى أهمية تركيز المجهودات الدولية على محاربة الحركات المتطرفة في العالم؛

- نجاح روسيا في إعادة أطراف الصراع إلى طاولة التفاوض تحت لواء الأمم المتحدة: حيث تم التصويت على اللائحة 2254 يوم 18 ديسمبر 2015، التي تعرف بورقة الطريق لتشكيل حكومة سورية انتقالية، لتؤكد روسيا بعد قرابة 4 سنوات من اندلاع الصراع

¹ -الأسد: أرحب بمزيد من القوات الروسية في سوريا، دبي: العربية نت، 16 مارس 2023، 11:41،

السوري على أنها قادرة على إحداث انقلاب دبلوماسي مرن، فقد ضمنت أن يكون نظام الأسد طرفاً لا غنى عنه في طاولة المفاوضات.

- مساهمة روسيا إلى جانب الصين في إرساء معالم نظام عالمي جديد متعدد الأقطاب مبني على التكتلات التي تقودها أكبر القوى في العالم: فقد تمخض عن دور روسيا في الصراع السوري عديد من المكاسب والمزايا المرتبطة ببناء تحالفات آسيوية صارت تؤكد على بروز نظام دولي متعدد الأقطاب، على غرار التحالف الروسي الصيني الذي ساهم بشكل كبير في عرقلة مشاريع قرارات مجلس الأمن المقترحة من طرف الولايات المتحدة الأمريكية وعدد من الدول الأوروبية بشأن الملف السوري، أيضاً التحالف الروسي - السوري - الإيراني الذي ساهم في إعادة ترتيب موازين القوى بمنطقة الشرق الأوسط وتقوية النفوذ الروسي بها، ناهيك عن حدوث تقارب روسي- تركي في المجال الأمني، فتقوية هذا التقارب سيسمح مستقبلاً بإضعاف أية محاولات لعزل روسيا جغرافياً، وتطوير أية محاولات توسعية لحلف الناتو مستقبلاً.

المطلب الثاني: التداعيات المستقبلية للدور الروسي في الصراع السوري:

تستند الرؤية المستقبلية لتداعيات الدور الروسي في الصراع السوري على ثلاث سيناريوهات رئيسية:

■ السيناريو الاستمراري: نجاح روسيا في حل الصراع في سوريا وتمكنها من استعادة مكانتها العالمية في ظل نظام عالمي متعدد الأقطاب: يوحى هذا السيناريو بنجاح روسيا في خلق توافق ما بين القوى الدولية والاقليمية المتصارعة بالوكالة في سوريا، على المدى المتوسط والبعيد، حيث ستسعى إلى مواصلة التفاوض المتوازن، والذي يركز على الاعتراف بمصالح كل من تلك الأطراف، على النحو الذي يحافظ على أمنها القومي، حيث ستسعى إلى توجيه القوى المحلية (الوكلاء المحليين) إلى تقديم تنازلات مقابل اصلاحات شاملة تلزم بها النظام السوري، خاصة مع الإنهاك الذي اصابهم بعد تدخلها العسكري

المباشر وقلب الموازين لصالح نظام الأسد. ويغذي هذا السيناريو عددا من المؤشرات من بينها:

- انتهاء حالة التصادم المباشر بين النظام والمعارضة منذ يناير 2017 (استانا):
- حدوث تقارب روسي إيراني تركي في مجال التعاون الأمني: حيث سيسمح ذلك بتسوية متوازنة للصراع السوري، وقطع الطريق أمام أية محاولات لتعميق الهوة بين الفرقاء المحليين.

كما يلخص هذا السيناريو مسار عودة روسيا إلى منطقة الشرق الأوسط، واستلامها زمام إدارة قضايا السياسة العالمية، حيث:

- ستواصل روسيا تكثيف تواجدها العسكري المتوازن في مناطقها الحيوية، فتقوية أسطولها المتواجد في قواعدها العسكرية في سوريا، هو مؤشر على أنها ستستمر في السيطرة على أهم معابر الغاز في العالم على المدى البعيد، وهي نقطة تستهدف من خلالها توسيع هيمنتها على المنافذ البحرية المحاذية كتلك المتواجدة في العراق على سبيل المثال لا الحصر.

■ السيناريو التغييري: استغلال انشغال روسيا بإدارة الصراعات في مناطقها الحيوية الأخرى ومساعي تقوية الجبهة الغربية في سوريا:

ينبئ هذا السيناريو بإمكانية حدوث تغيير في ميزان القوى في الصراع السوري، حيث تعد المساعي الغربية المتزايدة لتقويض وتحجيم الدور الروسي أهم محدداته، ومن أهم المؤشرات التي توحى بذلك:

- عودة الولايات المتحدة الأمريكية إلى تفعيل دورها في الصراع السوري بعدما سجل تراجعاً كبيراً في عهد إدارة أوباما، لاسيما بعد تقييد التحالف الروسي-الصيني لمحاولاتها تمرير أية قرارات مناهضة للتوجه الروسي في سوريا، وهو ما يهدد المصالح الروسية، خاصة إذا تم التنصل من غطاء هيئة الأمم المتحدة؛

- مواصلة الجبهة الغربية خلق وكلاء محليين جدد لتوتير الأوضاع وإعادة طرح مقترح ازاحة نظام الأسد، وكذا التفكير في فرض تواجدها العسكري المكثف بسوريا.

■ السيناريو الكارثي: ينبئ هذا السيناريو باتجاه الأوضاع نحو حرب مباشرة بين القوى الكبرى، لاسيما في حالة فشل موسكو في الحصول على تنازلات من طرف هذه الأخيرة، ويغذي هذا السيناريو الهواجس الروسية المرتبطة بفقدان السيطرة على أهم ممر لها في المياه الدافئة، وإحدى المعابر الطاقوية الرئيسية في العالم، وتمكن الدول الغربية من تمرير مشاريع جديدة تهدد بإنهاء التواجد الروسي بالمنطقة، وهو ما يدفعها إلى استعراض قوتها العسكرية، والدخول في صراع مباشر مع الولايات المتحدة الأمريكية، وستجعل القوى الأوروبية من هذه السانحة فرصة لتقويض الهيمنة الروسية على مصادر الطاقة العالمية، والعمل على عزلها من جديد.

المطلب الثالث: الاستنتاجات النظرية للعلاقة التفاعلية بين الدور الإقليمي واستعادة المكانة العالمية:

لقد افضت دراستنا هذه إلى عدة استنتاجات نظرية للعلاقة التفاعلية بين دور الدولة الخارجي، التأثير الإقليمي وفرض المكانة العالمية، يمكن تلخيصها فيما يلي:

- أن دور الدولة الفاعل في الصراعات الإقليمية المحتمدة في أهم المجالات الحيوية في العالم سيسمح لها بتحقيق تأثير مزدوج اقليمي وعالمي في الوقت ذاته.

- نجاح الدولة في استعادة مكانتها العالمية مرتبط ارتباطا وثيقا بمدى قدرتها على توظيف مؤهلاتها وعناصر قوتها بحكمة في ادارة القضايا الإقليمية ذات الصدى العالمي؛

- قدرة الدولة على الحصول على تنازلات من جميع أطراف الصراع التي تتقاطع مصالحها، تبرر استحقاقها عن جدارة على مكانة عالمية؛

الخاتمة:

لقد ساهم الإمام بتداعيات الدور الروسي في إدارة الصراع السوري على استعادة روسيا لمكانتها العالمية في إدراك التغييرات التي تمخضت عنه على مستوى الساحة الدولية، خاصة بعد تشكل تحالفات جديدة أكدت على تراجع الهيمنة الأمريكية في إدارة القضايا العالمية، جسد الصراع السوري منعطفا جديدا أثر على موازين القوى، حيث أكد أن من يسيطر على مساره، يتحكم في توجهات الأطراف المتدخلة، وبالتالي يسيطر على الشؤون الدولية، وكذا الاطلاع على عديد من المؤشرات، أبرزها أن الساحة الدولية ستكون حلبة للعديد من الصراعات الدولية مستقبلا، حيث سيكون الدور الروسي حاضرا بقوة لإدارة دفتها، فدورها في الصراع السوري سيتمخض عنه أدوار أخرى في عديد من القضايا العالمية والإقليمية.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا/ قائمة المراجع:

أ-الكتب:

1. الإمارة لمى مضر جريء، المتغيرات الداخلية والخارجية في روسيا الاتحادية وتأثيرها على سياستها تجاه منطقة الخليج العربي في الفترة 1990-2003، ط.1. (الإمارات: مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2003).
2. الشيخ نورهان، صناعة القرار في روسيا والعلاقات العربية - الروسية، ط.1. (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998).
3. النعيمي أحمد، السياسة الخارجية. (عمان: دار زهران للنشر والتوزيع، 2009)، ص.200.
4. إدريس محمد السعيد، تحليل النظم الإقليمية . (القاهرة: مركز الدراسات السياسية، 2002).
5. بن علي رضا محمد رشيد وآخرون، كتاب مجلة المنار، وصية بطرس الأكبر قيصر روسيا، ج.5. (مصر: مجلة المنار، 1327).

6. دوجين ألكسندر، أسس الجيوبوليتيكا، مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي، ترجمة عماد حاتم، ط.1. (بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2004).
7. زرنيز آمال، الأوراسية الجديدة وتأثيرها في الفكر الاستراتيجي الروسي، دوافع التدخل في أوكرانيا وروسيا وحدوده، ط.1. (مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2022).
8. زاد زلي خليل، التقييم الاستراتيجي. (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 1997).
9. عبد الحميد عاطف معتمد، استعادة روسيا مكانة القطب الدولي: أزمة الفترة الانتقالية، ط.1. (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2009).
- ب- الرسائل الجامعية:
10. أبو مصطفى سهام فتحي سليمان، الأزمة السورية في ظل تحول التوازنات الإقليمية والدولية 2011-2013. (غزة: جامعة الأزهر، 2015).
- ج- المقالات في المجلات:
11. جاسم حيدر زهير، روسيا الاتحادية مقومات القوة وتحديات المستقبل، مجلة الدراسات الدولية، بغداد، ع.67، 2017.
12. عبد القادر نزار، روسيا والأزمة السورية: مصالح جيوسياسية وتعييدات مع الغرب. الدفاع الوطني اللبناني، ع.84، نيسان 2013.
13. Anne de Tinguy, Vladimir Poutine et l'Occident : l'heure est au Pragmatisme, Politique Etrangère, 31 Mars 2001.
- د- المقالات على مواقع الإنترنت:
1. الخارجية الروسية: داعش يدرب مسلحين من روسيا في أفغانستان، 2015/10/08، الرابط الإلكتروني: <https://sputnikarabic.ae>، 13:21.
2. الطوسي باسم، الحدود الشفافة وخداع الجغرافيا السياسية، الغد، الجمعة 07 أكتوبر 2005، 03:00، الرابط الإلكتروني: www.alghad.com.
3. السعدي سلام، أهداف روسيا الطويلة الأمد في سوريا، مركز كارنغي للسلام الدولي، 6 أكتوبر 2015، الرابط الإلكتروني: <https://carnegieendowment.org>.

4. أيوب محمد شعبان، بوتين زعيما للعالم المسيحي...الأبعاد الدينية وراء الغزو المحتمل

لأكرانيا، الجزيرة نت، 2022/02/17، الرابط الإلكتروني: <https://www.aljazeera.net>

5. الأسد: أرحب بمزيد من القوات الروسية في سوريا، دبي: العربية نت، 16 مارس 2023،

الرابط الإلكتروني: <https://www.alarabiya.net>، 11:41

6. Delanoe Igor, **Des Enjeux de L'intervention Russe En Syrie, Paix et Sécurité Européenne et Internationale.** , Université Cote d'Azur ,31 Mai 2021 : <https://hal.science>.

7. Dmitry Gorenburg, **Moscow Conference on International Security 2015, Part 5 : International Cooperation in Combatting Terrorism**, 2nd June 2015 : Russiamil.Wordpress.Com.

8. Ferris-Rotman Amie, **During Easter Season,some Russians look to strengthen bonds with syria's embattled christians: The Kremlin has cast itself as a guardian of Syria's ancient christian communities**,Washington Post, April 20,2019 at 8:00 a.m :<https://www.washingtonpost.com> .

9. Gladstone Rick, **friction at the UN as Russia and china veto another resolution on Syria sanctions.** The New York Times, July 19th, 2012, <https://www.nytimes.com>.

10. Sogoloff Nikita, **Russia's Energie Goals in Syria**, Fikra Forum, Wshington Institute for Near East Policy, 30 August 2017, <https://www.washingtoninstitute.org>.